Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والكتاب بهذه الصورة يبدو بعيدا عما نحن بسبيله ، لكن الواقع أنه فى ثنايا النصوص والأخبار والطرائف تناثرت أصول كثير من الموضوعات والصور البلاغية التى كانت بذورا لمباحث متعددة ، نماها البيانيون بعده وانطلقوا منها ، وبنوا عليها . ولن نُعْنَى هنا بتتبع كل تلك الأصول ، وحسبنا أن نركز على أهمها وأكثرها خطرا فى البحث البلاغى .

على أن بعض ما عرض له الكتاب جاء فكرة متكاملة لم يكد البلاغيون يزيدون عليها شيئا فيما بعد . وأوضح ما يكون ذلك فى المبدأ الخاص بنقاء الكلام وسلامته من التنافر فى الحروف والألفاظ معا ، والذى أطلق عليه اسم « الاقتران » ، فبعض الحروف لا يقارن بعضها الآخر ، كالجيم فإنها لا تقارن الظاء ، ولا القاف ، ولا الطاء ، ولا الغين ، كذلك الزاى لا تقارن الطاء ، ولا السين ولا الضاد ولا الذال[١١٦] . وبهذا اهتدى البلاغيون المتأخرون ، وجعلوا سلامة الكلمة من تنافر الحروف شرطا لفصاحتها . أما تنافر الألفاظ فإنه ينشأ — كما يرى الجاحظ — من اجتماع عدة كلمات لا تتلاءم فيما بينها ، فيصعب بسبب ذلك النطق بها مجتمعة ، كقول القائل :

وقبر حرب بمكان قفـــر وليس قرب قبر حرب قبر

وقول ابن يسير فى أحمد بن يوسف حين استبطأه :

هل مُعين على البُكا والعويل أم مُعزٍّ على المصاب الجليل
ميِّت مات وهو فى وَرَق العيشَ مقيـمٌ به وظلٌّ ظليـل[١١٧]
لم يمُت ميتة الوفاة ولكن مات عن كل صالح وجميل
لا أُذيلُ الآمال بعدك إنى بعدهـا بالآمال حقٌّ بخيـل
كَم لها وقفةً بباب كريم رجعت من نداه بالتعطيل[١١٨]

ثم قال :

---

(١١٦) انظر البيان والتبيين (تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، الخانجى ، ج ١ ط ١٩٨٥/٥) ص ٦٩ .

(١١٧) ورق العيش ، نضرته وحداثته .

(١١٨) التعطيل : الإخلاء وترك الشيء ضياعا .